منارات

manarat

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

www.almadasupplements.com

العدد (4966) السنة الثامنة عشرة الاربعاء (16) حزيران 2021

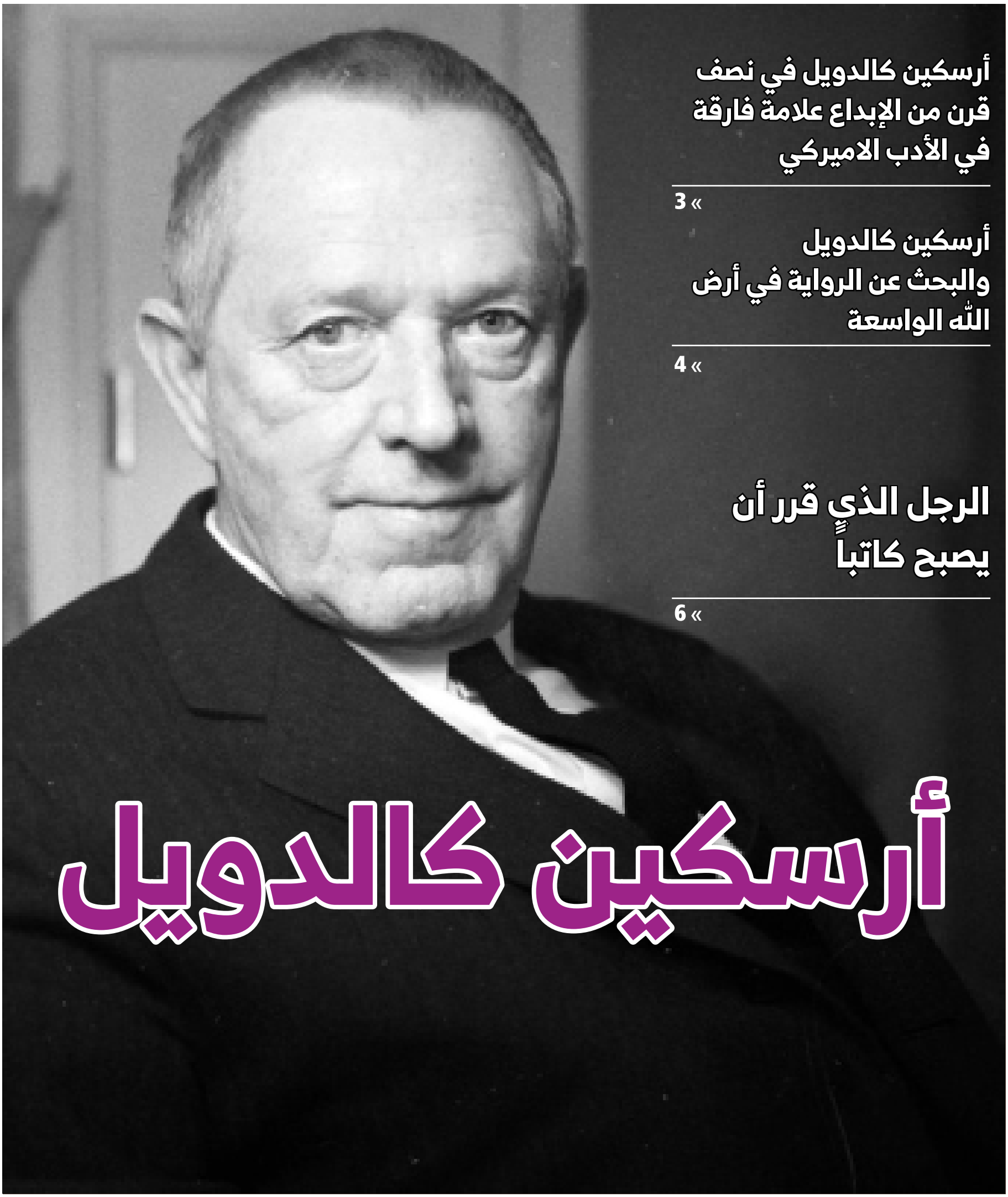

أرسكين كالدويل في نصف قرن من الإبداع علامة فارقة في الأدب الاميركي

« 3

أرسكين كالدويل والبحث عن الرواية في أرض الله الواسعة

« 4

الرجل الذي قرر أن يصبح كاتباً

« 6

أرسكين كالدويل

أرسكين كالدويل: كيف أصبحت روائياً؟

محمد عبد العزيز

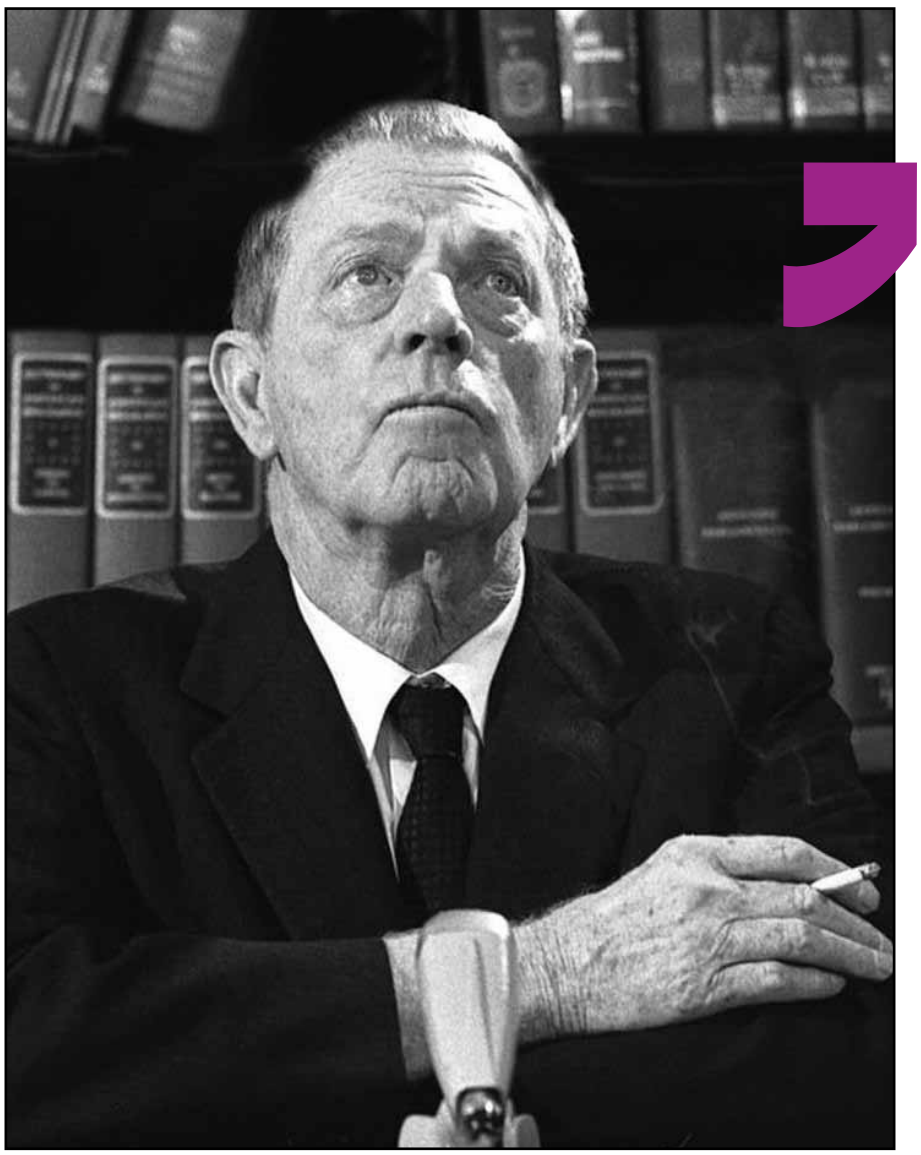

قرأت كتاب أرسكين كالدويل بعنوان "اسمها تجربة". توقعتها سيرة ذاتية، لكنها كانت أقرب لمذكرات أرسكين مع الكتابة وهمومها. الكتاب يعرض خبرات أرسكين حول مهنة الكتابة "أرض العجائب والخيال" كما يطلق عليها، لذلك لا نرى استعراضاً للأحداث التي مرت في حياته بالتفصيل، بل يروي التجارب التي ربما تكون قد أسهمت في مشروعه الروائي. لا تجد في الكتاب حديثاً عن مراحل حياته إلا ما يتعلق بالكتابة والنشر والسهر على كتابة القصص القصيرة والروايات. يندر الحديث عن الحياة العاطفية للكاتب أو عن الحب في حياته، ولا ترى ظلال الحياة السياسية أو صراعات الحكم والسياسة، بل الصراع من أجل الكتابة والنشر.

يكثر حديثه عن ذلك القلق، قلق الكتابة وهمومها، ومعاناة الحصول على فكرة وتطويرها كنص روائي، الكتاب تجري أحداثه في أمريكا منذ مائة عام تقريباً. تغير الكثير: من سوق النشر إلى أذواق القراء، لكن كل من يحترف الكتابة يعرف شعور معايشة النمرة –والتعبير لجبرا إبراهيم جبرا–. يعصر أرسكين ذهنه ليتذكر ذلك اليوم الذي قرر فيه أن يكون كاتباً، أو متى شعر أن مهنته ستكون الكتابة. لا يتذكر كاتبنا نقطة التحول التي دفعته للتعلق بالكتابة، لكنه يؤكد أن رحلته في كتابة القصص والروايات لم تكن أمراً هيناً يقوم به بسهولة ويسر، فلقد أتعبته تلك المهنة وأشعرته بالقلق المستمر. كتابة القصة عناد لمزاج المرء وميله الفطري في الانطلاق. يحكي لنا عن حالة الضيق والتوتر والنكد طيلة النهار أو الليل، وهو جالس أمام الآلة الكاتبة، ليبتكر قصة أو يكمل فصلاً في رواية، وفي الوقت نفسه يرغب بالخروج من المنزل ليفعل أشياء أخرى أكثر إمتاعاً وإثارة من الكتابة.

بدأ أرسكين كالدويل حياته في العمل مراسلاً صحفياً، إلى أن أسدى إليه أحد المحررين نصيحة عندما كان يراجع مقالاته: "عد إلى مدينتك واكتب عما يحدث أمام ناظريك، وحول مشاهداتك إلى حدث مثير، المهم هي الطريقة التي ترى فيها الحدث وتكتب عنه"، في صيف ١٩١٩ أكمل العمل في مهن متنوعة أحياناً صحفياً وأحياناً عاملاً على سطح سفينة شحن، وباع اللبن وعمل في محل عصير برتقال وفي مخزن زجاج وفخار، المهم ما يجد به قوت يومه وأن يجد فرصة للكتابة. وفي تلك الفترة أكمل سنوات الجامعة وزادت رغبته في أن يكتب عن الناس الذين عرفهم في الواقع، وكما عاشوا، وتحركوا، وتكلموا فعلاً.

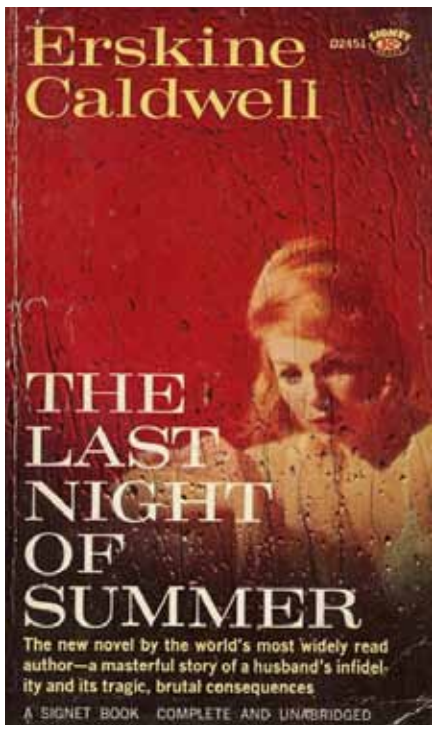

في فترة بداياته كصحفي مبتدئ لم يقتنع رئيس التحرير بأن كثرة القراءة مفيدة له: "أنا أريد مراسلا صحفيا لا عُثَّة كتب" هكذا صاح فيه رئيس التحرير، وطلب منه أن يكتب عن الجرائم في المدينة التي يعيش فيها. ولمدة عام كان يقوم بالاتصال بالمشرحة المحلية يومياً وكتابة عمود نعي للراحلين، فضلاً عن الذهاب إلى بعض الفنادق الرخيصة واكتشاف كيف توفي أحد الأشخاص داخله. في هذه التجربة تعرف على أيام الإثنين السوداء، حيث ينتحر بعض الفقراء في صباح يوم الإثنين بعد أن يستيقظوا ويتذكروا أنهم لا يملكون شروى نقير بعد أن بددوا ما كسبوه من أجر طيلة الأسبوع الفائت، ويقرر ذلك الفقير الانتحار. عاد أرسكين للصحيفة وكتب قصة عاطفية يتخيل فيها انتحار أحد هؤلاء الأشخاص، لم يقبل رئيس التحرير القصة وقال لو أردت قصة مؤثرة سأرسل "بيغي ميتشل"، كانت بيغي تعمل في الصحافة قبل أن تستقيل وتكتب بعد عشرة أعوام الرواية الشهيرة "ذهب مع الريح" عام ١٩٣٦.

لم يكف أرسكين عن المحاولة. الكتاب هو سجل بالخيبات والتجارب التي قام بها. يعود إلى المنزل في المساء ويكتب قصصاً قصيرة ويرسل إلى رؤساء تحرير المجلات، وكانت القصص تعاد إليه دائماً ومعها رفض النشر. وعندما حاول العمل بمراجعات الكتب وجد صحيفة تعطيه الأجر عبارة عن الكتاب الذي سيقوم بالكتابة عنه. كانوا يرسلون له ستة عناوين أسبوعياً، وهكذا فكر في القيام ببيع تلك الكتب بعد الكتابة عنها لتصبح مصدر دخل له. وفي عام ١٩٢٦ كتب حوالي أربعين أو خمسين قصة قصيرة لم ينشر أيّ منها، وأصبح لديه حوالي ألفين وخمسمائة كتاب قدمت له كأجر لمراجعتها، وبهذه الكتب الكثيرة قرر أن يفتح محلاً لبيع الكتب المستعملة، تكون أرباحه معيناً له في الاستمرار في الكتابة.

ينتقل أرسكين من مدينة إلى أخرى، ويوفر الحد الأدنى من المال لكي يستأجر غرفة ويقطع الحطب لفصل الشتاء القارس، وأحياناً يزرع البطاطا ليأكلها، فهو حطاب بالنهار وأديب في الليل. في النهار يجهز الخشب الذي يستعمله في التدفئة في فصل الشتاء البارد، وفي الليل يجلس أمام الآلة الكاتبة يصنع عالماً من الأخيلة والواقع، ويعيش حياة بسيطة فقط ليكتب، كأنه يعيش لهذه الغواية الخطيرة. لكن مشاعر الضجر والتململ وشهوة التجوال، والرغبة التي لا تقاوم للذهاب لمكان ما، كانت تحرمه من الشعور بالرضا والقناعة لمدة طويلة، وسرعان ما انتهت تلك الكتب التي كان يبيعها، وعندما زار هوليوود لأول مرة، شغلته الكتابة عن زيارة معالم المدينة.

تلقى أرسكين رسالة عام ١٩٢٩ بالموافقة على نشر أحد قصصه القصيرة بعد حوالي ست سنوات من بدء محاولاته الأدبية، وفجأة انمحت من ذاكرته كل خيبات الأمل المتراكمة طيلة عدة سنين، وبلغه مدير التحرير أنهم سينشرون قصتين من قصصه مقابل "ثلاثة ونصف"، فرد كالدوين أنه تلقى أجرا أكثر من ذلك من قبل، وقال للمدير تمنيت أن تلقى أكثر من ثلاثة دولارات ونصف، فصحح له المدير المبلغ أنه ثلاثمائة وخمسون دولارا.

ثم نشر أول مجموعة قصصية له، لكن مراجعات النقاد في الصحف كانت حانقة وغاضبة، حتى جعلته يشعر أن هؤلاء النقاد ينضوون تحت فئة العاشق العنين أو المؤلف الفاشل، حتى إنه يسخر منهم بالقول "على كل من يريد أن يصبح ناقداً أدبياً أن يظهر مقدرته على ممارسة الحب بكفاءة أو تأليف مجموعة قصصية صالحة للنشر". وبعد هذه السنوات العجاف تناقص وزن الكاتب من ٨١ كيلو حين كان يلعب كرة القدم في الجامعة إلى ٤٥ كيلو، لم يكن أحد يتصور أن هذا الكاتب النحيل المجهول، سينجح في فرض إنتاجه الأدبي ويوزع بالملايين ويترجم إلى اللغات الأخرى.

ويستمر كالدويل في حكاية ظروف كتابة ونشر روايته "طريق التبغ"، وحصل على ثلاثة آلاف دولار نظير تحويل الرواية إلى فيلم. وكتب بعدها رواية "أرض الله الصغيرة"، وبدأت شهرته كأديب وكاتب مميز ومشهور. إن رحلة كالدويل تبدو شاقة لنا، وفيها كثير من الشغف حول الكتابة، والقلق من الفكرة واللغة وفيها الصراع مع توفير النفقات، لكي يجد الوقت والمكان للكتابة. لم يكن لدى كالدويل فلسفة يريد نشرها أو مذهب يهتم بالترويج له، بل كان يريد أن يصف بأقصى ما يستطيع من صدق بؤس الحياة وآمال الناس الذين عرفهم.

نجح في نهاية المطاف، وشقت روايته طريق التبغ الطريق لتعرض في برودواي كمسرحية، وتلقى ألف دولار مكافأة من إحدى المجلات، اشترى بها البيت الذي كتب فيه إحدى رواياته. ولم يكف عن الترحال والسفر داخل الولايات المتحدة، ثم سافر إلى روسيا وتسلم حقوقاً مالية نظير ترجمة رواياته إلى الروسية، وأصبح يتلقى عشرات الرسائل أسبوعياً من المعجبين تسأله عن سر الصنعة، وعمل مراسلاً حربياً فترة الغزو الألماني لروسيا وكتب رواية عن تلك الفترة وسرعان ما خطفتها هوليود بخمسين ألف دولار وطلق الرجل الفقر الذي لازمه في مقتبل حياته وكتب عنه الكثير في الروايات، لقد بدأ حياته وهو يحصل على ثلاثة دولارات في السنة نظير الكتابة تحولت إلى ثلاثة آلاف دولار في أسبوع.

عن موقع الضفة الاخرى

يثير اسم كالدويل ذكريات حميمة لدى قراء الأدب الأميركي في القرن العشرين، من خلال مؤلفاته التي كشفت عن أشكال غير معروفة من العنف والفساد والفقر ووحشية الجنوب الأميركي،في مختلف العلاقات السائدة بين مواطنيه، بيضاً وسوداً، وجاءت هذه المؤلفات في نحو خمس وعشرين رواية، ومئة وخمسين قصة قصيرة وطويلة، واثني عشر كتاباً منوعاً في موضوعات مختلفة، أهمها كتابه «سمّها تجربة» الذي حمل خلاصة تجربته في الحياة والكتابة، وترجم إلى أكثر اللغات الحية منذ عام 1951، وصدرت طبعته العربية عن دار المدى.

أرسكين كالدويل في نصف قرن من الإبداع علامة فارقة في الأدب الاميركي

بندر عبد الحميد

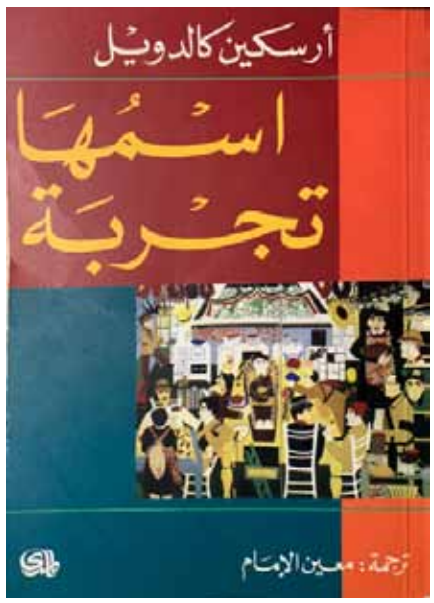

على مدى أكثر من نصف قرن كان اسم أرسكين كالدويل (١٩٠٣ – ١٩٨٧) مرتبطاً بنجاحات مدهشة في الكتابة التي تثير القارئ العادي والقارئ المثقف معاً، حيث كتب رواية «أرض الله الصغيرة» التي نشرت عام ١٩٣٣ واحتلت مكانها في قائمة الكتب الأكثر مبيعاً في العالم، إلى جانب أفضل رواياته الأخرى، وهي «طريق التبغ» و«أرض المآسي» و«بيت في المرتفعات» و«الحب والمال» و«غريتا» و "مكان يدعى استرفيل" و "آخر ليلة من الصيف" و "الدروب الجنوبية" و "صبي من جورجيا" وقصص "نحن الأحياء"، وفي عام ١٩٤٢، انتقل كالدويل إلى موسكو مراسلاً حربياً لتغطية أخبار الحرب العالمية الثانية، وصدرت رسائله النارية بعد ذلك في كتابين: "موسكو تحت النيران" و "روسيا في الحرب».

إن اهتمام كالدويل بالبيئة الجنوبية الفقيرة، التي عاش وعمل فيها، متنقلاً بين مدنها وأريافها، أعطاه صفة الكاتب الجنوبي الحر، وهذا ما جعل رواياته وكتاباته الأخرى تحظى بحفاوة خاصة وانتشار واسع في أوروبا الشرقية في بدايات الحرب الباردة، ما أثار عداوة بعض الكتاب الأمريكيين المحافظين له، فاتهموه بأنه ذيل لموسكو، وقبل ذلك، في أوائل الثلاثينيات، أقامت جمعية نيويورك لمكافحة الرذيلة دعوى قضائية ضد نشر روايته «أرض الله الصغيرة» بتهمة إنها إباحية، ولكن خمسة وأربعين من الكتاب الأميركيين وقفوا ضد هذه التهمة، فصدر قرار المحكمة بتبرئة هذه الرواية التي لا يمكن اتهامها بالإباحية إذا قرئت ككل متكامل، ومع ذلك ظل كالدويل يعاني من سلطة الرقابة، أكثر من أي كاتب أميركي آخر من معاصريه، ولكنه كان يعرف ما يريد، ورد على الاتهامات التي وردت في كتابات بعض النقاد، في تصريح لصحيفة «ساترداي ريفيو» يقول: إذا كنت حريصاً على الآراء النقدية الجيدة من النقاد فعليك أن تتوقف عن كتابة أي شيء.

ولد آرسكين كالدويل في جورجيا عام ١٩٠٣ وانتقل مع عائلته من مكان إلى آخر في ولايات كارولينا وفرجينيا وفلوريدا وتنيسي قبل عودته إلى جورجيا. وفي الثامنة عشرة من عمره كان يطمح إلى متابعة دراسته الجامعية، فمارس أعمالاً يدوية شاقة، فإلى جانب اهتمامه بلعبة كرة القدم عمل في جني القطن وفي ناد ليلي، وفي معصرة لزيت القطن، ومساعد طباخ، وسائق سيارة أجرة، وعامل مطبعة، وكانت بواكير أعماله الكتابية مراجعات صحفية للكتب الجديدة، وإنجاز القصص القصيرة التي أخذ بعضها طريقه إلى النشر بصعوبة، كما عمل مراسلاً لصحيفة «أتلانتا جورنال» لتغطية أخبار الوفيات، ولم تكن الأجور مجزية أو مضمونة وهو ما حدث معه في عمله اليدوي في تنضيد الحروف وجمع الأخبار القصيرة والتعليقات في الصحيفة الأسبوعية «جيفرسون ريبورتر» التي يديرها تشارلي ستيفنز:

«عندما عاد تشارلي إلى البلدة امتلكت ما يكفي من الشجاعة لأسأله عن أجري، وحسبت أنه مدين لي بأجر سبعة أسابيع من العمل في الصحيفة، بدا تشارلي مندهشاً حين ذكرت له الأمر، تبعته عبر غرفة المطبعة وسألته مرة أخرى عن أجري، فقال وهو يهز رأسه ببطء ووقار: هل توقعت مني أن أدفع لك مالاً مقابل تعلّم المصلحة؟» .

كل هذه التجارب، والأجواء التي احتك بها كالدويل في أرجاء الولايات الجنوبية في المعامل والمدارس والمزارع والصحف، أعطته خبرة خاصة بالعلاقات الاجتماعية وعلاقات العمل ووجوه العلاقات العاطفية، والنماذج الخاصة من الناس الذين انعكست صورهم في كتاباته الروائية والقصصية المختلفة.

في عام ١٩٣٦ التقى كالدويل بالمصورة الصحفية الشهيرة مارغريت بورك. وايت، وخلال فترة زواجهما التي امتدت ست سنوات عملا معاً كمراسلين لمجلتي «فورشن» و«لايف» ونشرا مقالاتهما المصورة في أربعة كتب مثيرة، كان أولها عن الجنوب الأميركي، وكانت الكتب الأخرى عن أوروبا الشرقية والشرق الأقصى. وحين أعلن وليام فوكنر قائمة بأسماء أهم خمسة كتاب في الأدب الأميركي المعاصر برز بينها اسم كالدويل، إلى جانب همنغواي وتوماس وولف ودوس باسوس وفوكنر نفسه.

يقول كالدويل: «إن كل ما أريد فعله هو أن أحكي قصة، بأفضل ما أستطيع» ولهذا كان كالدويل يعيد كتابة بعض أعماله عشر مرّات أو أكثر.

تحولت بعض أعمال كالدويل إلى نصوص وعروض مسرحية وأفلام سينمائية، وأهمها كانت رواية «طريق التبغ» التي عرضت في مدينة المسارح «برودواي» على مدى سبع سنوات ونصف، وعرضت على مدى سبعة عشر عاماً في نحو عشرين عاصمة أجنبية، وتحولت إلى فيلم سينمائي عام ١٩٤١، من إنتاج شركة فوكس للقرن العشرين.

كذلك تحولت رواية «أرض الله الصغيرة» إلى فيلم واسع الانتشار، في حين كانت لكالدويل تجارب عمل في هوليود في ثلاث فترات متقطعة منذ أوائل الثلاثينيات إلى أوائل الأربعينيات من القرن العشرين، شارك خلالها في كتابة سيناريوهات الأفلام وكما حدث مع فوكنر وتنيسي ويليامز، لم تكن تجربة كالدويل مع شركات الإنتاج السينمائي مجدية.

في «سمّها تجربة» ذكريات حياة كاتب جريء، بدأ من نقطة الصفر، وعانى من الجوع والإرهاق والفقر، ليشق طريقه الوعرة إلى قمة الإبداع والشهرة. وكانت رسائل المعجبين من القراء تتراكم أمامه، وتتزايد لتصل إلى عشرة آلاف رسالة في الأسبوع ولكنه لم يستطع أن يرد عليها كلها، وحملت بعض هذه الرسائل أسئلة عن حياته الشخصية وعلاقته اليومية بالكتابة، وكانت أجوبته على بعضها تأتي مختصرة على النحو التالي:

تعلمت بالخبرة، ومن خلال تجربة الصواب والخطأ والعمل الدؤوب إلى أن أرضى عما أكتبه.

يسعدني دائماً اكتشاف أن لشخوصي المتخيلة أندادها في الحياة الواقعية.

لا أستخدم كلمة طويلة من عدة مقاطع صوتية حينما تفي بالغرض كلمة أبسط وأقصر، ولا أستخدم كلمة صعبة تجبر القارئ على العودة إلى المعجم لفهم مدلولها أو تهجئة حروفها.

أعمل من الساعة التاسعة صباحاً حتى الخامسة مساءً، ستة أيام في الأسبوع، وعشرة أشهر في السنة.

حينما دعي كالدويل إلى حفل تكريم في ولاية جورجيا عام ١٩٨٥ لاحظ أنها تغيرت كثيراً، فكتب يقول: إنني سعيد لأنني كتبت ما كتبت.. ثمة متغيرات كبيرة حدثت في جورجيا وفي الجنوب، وإذا كانت إحدى قصصي قد فتحت عيني أحد ما فهذا يعني أنني نجحت.

نشر هذا الموضوع في جريدة المدى ٢٠١١

أرسكين كالدويل

والبحث عن الرواية في أرض اللّٰه الواسعة

علي حسين

كان في الخامسة عشرة من عمره حين قرر ان يكسب بعض النقود، وقد اكتشف في المدرسة أن عدداً من الفتيان الأكبر عمراً منه يعملون مساءً في معصرة لزيت بذور القطن . يبدأ العمل في الساعة الحادية عشرة ليلاً وينتهي في الساعة السابعة والنصف صباحاً ، أما الأجرة ، فكانت دولاراً واحداً في كل ليلة ، مبلغ مغرٍ بالنسبة لصبي يعاني الفقر . لأسابيع، ظل والداه يعتقدان ان ابنهما يغط في نومه ، لكنه في كل ليلة وقبيل الحادية عشرة ، يرتدي ملابسه مسرعاً ، ليسير مسافة كيلو متر إلى المعصرة ، يبدأ بجرف بذور القطن إلى الجهاز الناقل الميكانيكي حتى الصباح . بعد ذلك يحمل البذور إلى بناء آخر حيث تعصر بواسطة مكبس قوي حتى يستخلص منها الزيت. في الصباح الباكر، يفضح ضوء الفجر وجوه العمال المتعبة، ولكي يصل بيته دون ان يشعر والداه، فقد سمح له رئيس العمال بأن يغادر المعصرة قبل نصف ساعة من انتهاء عمله ، بحيث يتمكن من تناول طعام الفطور مع والديه في الوقت المحدد . وفي الساعة الثامنة وعشرين دقيقة يغادر البيت إلى المدرسة . استطاع تحمل هذا الوضع شهرين كاملين ، لكنه ذات صباح يشعر بالتعب الشديد وهو يجلس على مائدة الافطار، فيقع أرضاً ، ليكتشف أمره ، كان والده سعيداً ان ابنه اخذ يعتمد على نفسه ، إلا أن والدته التي كانت تطمح ان يصبح ابنها قاضياً مشهوراً ، طلبت منه ان يتوقف فوراً عن هذا العمل ، فاستجاب لها بعد ان استطاع ادخار مبلغ تجاوز الثلاثين دولاراً .

وُلد ارسكين كالدويل عام ١٩٠٣ لقسٍّ يتنقل من كنيسة لأخرى ، ولأم تعشق الأدب ، فكانت تقضي وقتها بقراءة الروايات الفرنسية والانكليزية، وابتلي بالربو طفلاً. لم يحبب الأدب في صباه ، ورأى في الأعمال الحرة مهرباً من حياته الاجتماعية الحافلة بالفقر . جذبته المهن البسيطة والتجوال في أنحاء أميركا، وقال في مذكراته الساحرة "اسمها تجربة" : "ما زلت حتى الآن استغرب ما الذي حدث قبل ثلاثين عاماً وقادني بشكل حاسم ، ودفعني الى طريق الكتابة ، الذي لم استطع أداءه بخفة ودونما جهد، فقد كانت أمي تجادلني لكي أعد نفسي لدراسة القانون ، وكنت آنذاك لا امتلك الحافز ولا الرغبة في أن أكون كاتباً «.

رفضت الصحف قصصه القصيرة الأولى، وسأله رئيس تحرير احدى الصحف الشعبية : لماذا تصر على وصف البؤس؟ بعد نشره روايته الأولى "طريق التبغ" قال وليم فوكنر وهو يقرأها : "إنها عمل أدبي لامع الى درجة لا يمكن معها مقارنته بغيرها" ، والتهمها ارنست همنغواي بشغف فضولي حتى انه قال لكاتب سيرته "هو تشنر" : "حفزني كالدويل لأن أصبح كاتباً ، عشقت حياته الجوّاله وحاولت ان أسير على خطاه».

كان فيتزجيرالد صاحب "غاتسبي العظيم" قد رفض مخطوطة "طريق التبغ" ، لكنه قال لشيروود أندرسون بعد نجاح الكتاب إنه لم يقرأ المخطوطة ، فقد كان يعتقد انها مثل كثير من المخطوطات التي تعرض عليه والتي تصيب الانسان بالملل . أحب القراء روايته الثانية "أرض الله الصغيرة" ، ووضعه شتاينبك بين أفضل خمسة كتّاب في العالم ، وحاول ان يقلده في "شارع السردين المعلب" ، ظل مرشحاً دائماً لجائزة نوبل حتى وفاته عام١٩٨٧ ، باع كتباً أكثر من أي كاتب أميركي آخر على الإطلاق في تاريخ أمريكا .

×××

قبل بضعة أيام من انتهاء دراسته الثانوية، حصل على عمل في صحيفة أسبوعية ، أما العمل فهو إدارة يد آلة الطباعة . بعدها كلف بمهمة إضافية تتمثل في تنضيد الأحرف باليد ، وبعد أسبوع قيل له إن بإمكانه أيضاً جمع المقالات والملاحظات والتعليقات الاجتماعية لصفحة المجتمع ، وكتابة الأخبار القصيرة حول الأحداث المثيرة للاهتمام . استخدم النقود التي كسبها من معصرة الزيت لشراء آلة كاتبة مستعملة ، وبدأ يعمل محرراً رياضياً يقوم بتسجيل مباريات "البيسبول" ، كما عمل بائعاً لصحيفة "التلغراف" ، قال له مدير التحرير ذات يوم : "أنت لا تريد ان تعيش باقي أيام حياتك بائعاً للصحف، أليس كذلك يا أرسكين ؟»

فأجاب فوراً : أُفضل أن أكتب في الصحف.

نظر اليه مدير التحرير ثم قال له بكل جدّية : "اكتب عما تراه أمامك. لا تصدق ما يقوله الناس . انظر بعينيك ولا تصدق ما تسمع بأذنيك . هنالك دوماً شيء يمكن أن تكتب عنه، وإذا استطعت ان تحوّل مشاهداتك إلى كلمات مثيرة ، عندها سانشرها فوراً.»

بدأ التجوال بالسيارة طيلة النهار إلى المناطق الريفية ، كان مهتماً فقط برؤية كيف يعيش الناس ، أصبحت الكتابة شاغلاً أساسياً لديه ، جرب في البداية الكتابة الساخرة، وكان أجره دولاراً واحداً عن كل موضوع ينشر له ، حاول ان يزيد من دخله فعمل موزعاً لزجاجات الحليب، وقضى عدة أشهر يعمل موظفاً في كشك لبيع العصائر، إضافة إلى عمله كحارس في مخزن للأواني الخزفية والزجاجية . وفي عام ١٩٢٥ ، شعر أنه لم يعد بإمكانه الانتظار مدة أطول قبل البدء جدياً بما سيفعله. لم يكن يطمح بأن تكون الصحافة مهنته الدائمة ، لكن الصحافة تعني الكتابة ، وهذا ما حاول ان يتعلمه. وبعد محاولات في نشر القصص الساخرة ، تم تعيينه مراسلاً تحت التمرين وبراتب ثابت بلغ عشرين دولاراً في الأسبوع ، لكنه لم يكتف بوظيفة المراسل ، حيث كتب إلى عدد من الصحف حول رغبته بكتابة مراجعات نقدية لبعض الكتب، عام ١٩٢٦ يتلقى رسالة من صحيفة "هدسون بوست" ، تخبره فيها أنها سترسل اليه العديد من الكتب ليكتب مراجعات عنها.

×××

الزمان: ١٩٢٩ المكان: ولاية فرجينيا

نزل من الباص وقد لمح لافتة مثيرة : "فندق مارك توين" ، أحسّ بالسعادة فهذه هي المرة الاولى التي سيسكن في مكان مع واحد من اشهر كتّاب اميركا ، الذي كانت أمه وماتزال تعشق كتاباته، كان الفندق صغيراً ، قال مع نفسه وهو ينظر الى الواجهة : "بالتأكيد ان أجرته ستكون مناسبة" ، كان يحمل حقيبة وآلة كاتبة قديمة اشتراها من سوق المواد المستعملة ، دخل الى الفندق وما ان لمحه موظف الاستقبال حتى سأله : هل أنت كاتب؟ فاومأ برأسه بنعم ، فاعتذر الموظف قائلاً : لايوجد سرير فارغ .

ولأن الجو في الخارج كان قد اقترب من العشرين تحت الصفر فقد ترجّاه ان يستأجر غرفة ولو لهذه الليلة فقط.

– « لم نكسب من وراء الكتّاب غير المتاعب ، يقيمون ثم يتسللون ودائما ما يجدون وسيلة لعدم الدفع" قالها موظف الاستقبال وهو يدير ظهره.

خرج كالدويل ليبحث عن مكان آخر ، وعلى كثرة ما كتب من عروض للكتب وتقارير ساخرة لم يكن قد نشر غير قصة قصيرة واحدة لم تلق الاستحسان، لكن كانت لديه رغبة شديدة لأن ينضم الى صف الكبار: "رغبة طاغية تماثل ،بالنسبة لبعض الناس، الحاجة للطعام والشراب . أما حدة وشدة وكثافة هذه الحالة الذهنية فهي التي تجبر المرء على المضي قدماً إلى أقصى مدى يتهيأ لبلوغه في سبيل تحقيق الهدف الواعي ، أو غير الواعي ، من حياته . إن من يملك الإرادة العنيدة للكتابة سوف يجد فرصته على الدوام ؛ وأولئك الذين يميلون إلى عدم البحث عن الفرصة المناسبة لديهم في العادة اهتمامات أخرى ، بغض النظر عما إذا عرفوا هذه الحقيقة أم لا ، أقرب إليهم وأحب إلى نفوسهم .

أخذ آلته الكاتبة، وفي زاوية لأحد الشوارع الرئيسية عثر على فندق آخر ، استقبلته امرأة في الخامسة والثلاثين ، اخبرها بأنه يبحث عن غرفة رخيصة الأجر ، وأنه يستطيع ان يدفع أجرة أسبوع مقدماً ، جلس ليكتب ، لم يخرج من الغرفة الا لشراء وجبة طعام واحدة بشرط ان لايتجاوز ثمنها العشرين سنتا

، وبحماسة مضاعفة بعث بعشرات من قصصه الى معظم صحف المقاطعة .
وخلال شهور نُشرت له ست قصص فقط لم يتسلم عليها أجراً فقرر ان يحمل حقيبته ويسافر الى نيويورك ، وهناك عثر على مجلة تهتم بنشر النتاجات الأدبية ، فأرسل لها العديد من القصص التي كانت تعود اليه مع عبارة "مرفوضة" ، لم يشعر باليأس فأرسل لهم قصصاً اخرى . وذات يوم استدعاه احد عمال الفندق ، فهناك مكالمة هاتفيه له ، كان على الجانب الآخر مدير تحرير المجلة الأدبية ليبلغه:
– لقد قررنا ان ننشر قصتين من نتاجك.
لم يصدق ما سمعه فانتابته حالة من الصمت والشرود .كان المتحدث على الخط قد قرر ان يواصل الحديث:
– ما رأيك في اثنين وخمسين أجراً للقصتين؟
تمالك نفسه ليجيب : لكني تلقيت أجراً أكثر قليلاً من هذا.
– لتكن ثلاثة وخمسين ، قال مدير التحرير.
• حسناً ولو انني كنت أظن انني سأتلقى اكثر قليلاً من ثلاثة دولارات وخمسين سنتا.
– ماذا تقول .. انني اقصد ثلاثمئة وخمسين دولاراً ، قالها مدير التحرير.

×××

كان هدفه الجديد ان يجمع قصصه القصيرة في كتاب ، عمل في حقل للبطاطس في النهار وتفرغ في الليل لكتابة القصص ، قصة كل اسبوع ، يبعث بها الى المجلات ، وكان العديد منها ينشر ، واكتشف قانوناً لتطوير عمله : كل قصة ترفضها ست مطبوعات يسقطها من حسابه . وذات يوم جمع كل ما كتبه من قصص لم تنشر واحرقها دفعة واحدة ، ليقرر ان يرحل من جديد هذه المرة الى كارولينا ، وكانت عدته للسفر آلة كاتبة ، وماكنة للف السجائر وحقيبة ملابس صغيرة . وبعد ثلاثة ايام قضاها يتنقل بالباصات، كان يلتقي بأبطال قصته الجديدة التي قرر ان يجعل منها رواية ، حيث رأى بطون الأطفال المنفوخة من الجوع ، والناس الذين اقعدهم المرض ، والقحط الذي كان يهيمن على مدن الجنوب الفقيرة . هكذا قرر ان تكون روايته الاولى عن فقراء الفلاحين الذي عاش وسطهم : "لقد مشيت في ذلك الدرب في صميم فصل الشتاء، ورأيت الناس الجائعين الملتفّين بالأسمال البالية يذهبون إلى لا مكان ويأتون من لا مكان، ملتمسين الطعام والدفء، راغبين في أن يعرفوا ما إذا كانت أشياء مثل الطعام والدفء، لا تزال موجودة في بقعة ما من بقاع العالم. إنهم لم يلتمسوا شيئاً أكثر من الغذاء الكافي لأن يمسك عليهم الحياة حتى مطلع الربيع بحيث يكون في مقدورهم أن يزرعوا القطن للموسم الجديد. كان لهم من الإيمان بالطبيعة، بالأرض، وبالنبات الذي في الأرض، ما جعلهم لا يفهمون كيف يمكن للأرض أن تخونهم أو تخيّب رجاءهم، ولكنها خانتهم وخيبت رجاءهم .»
فالناس في "طريق التبغ" فقراء وبائسون وخطاة ولصوص، ولا يأبه واحدهم بمصائب الآخر، لكن السؤال الذي يحاول ان يطرحه كالدويل: يا ترى هؤلاء الناس ولدوا هكذا؟ أو هل اختاروا بإرادتهم أن يكونوا أشراراً؟ أبداً ، يجيب كالدويل في مقدمة طريق التبغ : "إن مجتمع البؤس الخارج عن إرادتهم هو الذي صنعهم" . وبالتالي فإن الكاتب يقدم لنا ذلك العالم الغريب في الرواية المتحلق من حول أسرة "جيتر ليستر" ، المزارع البائس الممتلئة حياته بالمصائب وبالأطفال الذين أنجبت له زوجته سبعة عشر ولداً في بيتهم الضيق الفقير الواقع. لقد مات باكراً خمسة من أولئك الأولاد، وهرب معظم الباقين إلى المدينة، وهناك في الحلقة المحيطة بأسرة ليستر صهر العائلة "لوف بنزي" الذي لا يتوقف عن محاولة سرقته، وهناك المراة المتدينة التي تقترب من الأربعين، وترملت غير مرة بعدما كانت موسماً، وها هي الآن تغري ابن الأسرة "ديود" (١٦ سنة) بالزواج منها مقابل أن تشتري له سيارة يقودها فيتجولان معاً للدعوة إلى الدين. إذاً، من حول هذا العالم بما فيه من احتيال وبؤس وأكاذيب وقبح ؟ هذا ما يحاول ان يجد له اجابات من خلال الرواية .
تنشر الرواية عام ١٩٣٢ وينتظر شهوراً قبل ان يبلغه الناشر ان الخمسة آلاف الأولى من الرواية قد نفدت وانه ينوي اصدار طبعة جديدة ، ويتلقى اول اجر ضخم ، سبعمئة دولار دفعة واحدة ، ولم يمض عام حتى قرر احد مسارح برودواي ان تحول "طريق التبغ" الى مسرحية استمر عرضها لسبع سنوات بدون انقطاع ، وها هو الحظ يحالفه، فتمنح الرواية جائزة ادبية قدرها الف دولار يحقق من خلالها احد ابرز أحلامة بالحصول على بيت للسكن .
لقد تخلص اخيرا من عبء السعي وراء النشر واصبح له وكيل اعمال يقوم بمهمة البحث عن ناشر ، واخترقت قصصه القصيرة أسوار الصحف الواسعة الانتشار ، واشترى آلة كاتبة جديدة، وبدأ بالتخطيط لكتابة رواية جديدة ، ولكي يكتب يجب ان يتجول في انحاء البلاد ، فيذهب في رحلة الى الجنوب ، هناك يستأجر غرفة صغيرة ليخطط لروايته الشهيرة "ارض الله الصغيرة" .وكان في ذهنه ان يعقبها بكتاب انطباعات عن رحلاته ، كان يقطع ثلاثين ميلا في اليوم ، كانت قصصه القصيرة تشق طريقها الى الصحف الكبرى ، وهو الان في الرابعة والثلاثين، اصبح مشهورا ، له سكرتيرة تعنى ببريده واعماله تترجم وتطبع بالملايين وتتحول الى افلام سينمائية تحصد له الشهرة والمال .

كيف اصبحت روائيا؟
كثيرا ما يواجه الروائيون بهذا السؤال، وقد حاولوا الاجابة عنه في كتاباتهم ولكن الاجابة تكاد تكون هي نفسها عند معظم الروائيين الا ان كالدويل يقول في اسمها تجربة : "لعل اليأس وحده هو الذي دفعني الى الكتابة مثلما يتشبث شخص بزواج فاشل خوفا من الوحدة».
في الصفحات الاخيرة من مذكراته يخبرنا كالدويل أن كل كاتب يتلقى خطابات وديّة وعدائية بنسب وكميات متفاوتة ثمّ يذكر لنا بعض الأسئلة وإجاباته عليها ومنها:

– هل ذهبت إلى المدرسة لتتعلم ماتعلمته عن كتابة القصص والكتب؟
• لا. تعلمت بالخبرة. بالتجربة والخطأ، وبالعمل بالكتابة حتى اقتنعت بالنتيجة.

– ماهو هدفك من كتابة روايات مثل: طريق التبغ ، وارض الله الصغيرة وبيت في المرتفعات مالفائدة التي تقدمها هذه الكتب؟

• الهدف من كل هذه الكتب هو أن أقدم مرآة يستطيع الناس أن ينظروا إليها. و مهما كان الخير أو الشر في كتبي فإن ذلك يعتمد على ردود فعل القارئ تجاه الصور التي يراها في المرآة.

– كتبت كثيراً عن الفقراء، لماذا لاتكتب عن الأشياء السعيدة في الحياة.؟
• أولئك الذين يستمتعون بمباهج الحياة أقل بكثير من أولئك الذي يُقاسون مآسيها. حين يتغيّر الوضع الاجتماعي سأشعر آنذاك ، أنه لم يعد هناك أي هدف للكتابة عن آثار الفقر على الروح الإنسانية.

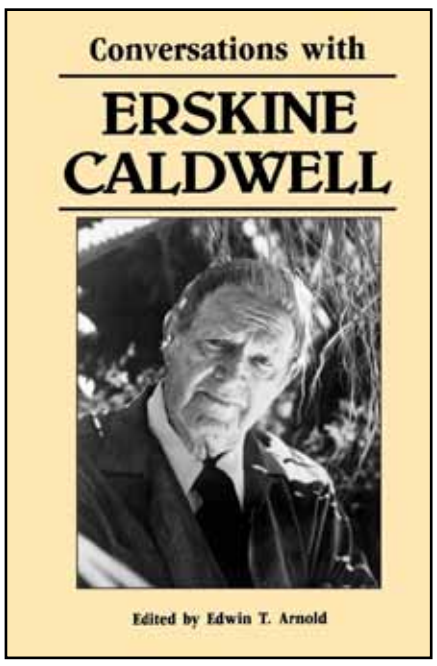

كالدويل في لغة الارقام:

الكاتب الذي باع 14 مليون نسخة من كتابه

اعداد المدى

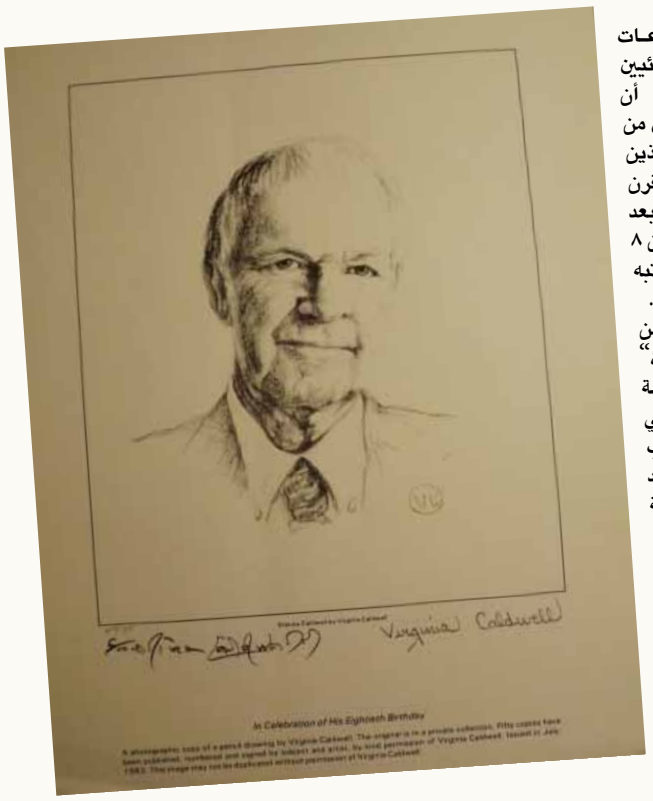

أجمعت الموسوعات المتخصصة بالروائيين الأمريكيين على أن أرسكين كالد ويل من أكثر الروائيين الذين قرأت كتبهم في القرن العشرين. خاصة بعد أن بيعت أكثر من ٨ ملايين نسخة من كتبه في ٣٤ لغة مختلفة . وروايته " قطعة من ارض الله الصغيرة" شكلت سابقة ليس لها نظير في تاريخ بيع الكتب وانتشارها ، فقد بيع من هذه الرواية ١٤ مليون نسخة.
أما عمله " طريق التبغ " فقد حول إلى عمل مسرحي وعرضت المسرحية لاكثر من ٧ سنوات. و و صفت بإنها صنعت تاريخ المسرح الأمريكي. فضلا عن عرضها في مسرح برودواي.
كتب أرسكين كالد ويل ٢٥ رواية، و ١٥٠ قصة قصيرة . و١٢ كتابا بعيدا عن القصة والرواية. تركز مجمل ما كتبه على موضوعات الظلم الاجتماعي. وان جاءت بمصطلحات الطبقية ، والتمايز العرقي، الموضوعات التي مازالت قائمة إلى يومنا هذا.
منذ وقت مبكر غدا كالد ويل جدليا وتحت رقابة الكتاب الأمريكان ، ففي حمى محاربة الفساد في المجتمع الأمريكي، سعت جهود كبيرة لمنع روايته " قطعة من ارض الله الصغيرة " ، الأمر الذي دفع بكالد ويل إلى اللجوء إلى القضاء . وبمساعدة أصدقاء له من أمثال مينكن وشيروود اندرسون من العارفين بقضايا المحاكم ربح كالد ويل القضية.
لقد كان ولاء كالد ويل لسكان الجنوب كبيرا وكان هذا الموقف معروفا بالنسبة لهؤلاء بوصفه موالیا لهم . إلى الحد الذي اعترضت فيه ماركريت ميتشل مؤلفة " ذهب مع الريح " وانتقدت كل من وليم فوكنر وكالد ويل بسبب هذا الولاء للجنوب الأمريكي. ولقد بالغ الكثير من دارسي الأدب والنقاد فيما بعد في تصنيف موقع كالد ويل ، فقد وضعوه إلى جانب فيتزجرالد ، وولف ، وجون شتاينبك . بل ذهب فوكنر إلى أن كالد ويل أحد الروائيين الخمسة العظام في أميركا.
رشح كالد ويل لنيل جائزة نوبل للآداب باعتباره أكثر الكتاب مبيعا في العالم ، أو انه أهم شخصية في تاريخ النشر الأمريكي .
مبيعات كتب كالد ويل دفعت المكتبة الأمريكية الجديدة (NAL)إلى منحه الميدالية الذهبية للمكتبة الأمريكية الجديدة .
ففي أواخر عام ١٩٤٠ باع كالد ويل كتبه أكثر من أي كاتب أمريكي آخرعلى الإطلاق في تاريخ اميركا ولعدة سنوات .
هذه الشعبية لم تكن دائما في صالح كالد ويل ، فشعبيته لدى القراء تحولت ضده في مسألة الإنجاز الأدبي.
ولم ينل كالد ويل من التكريمات أواخر حياته سوى انتخابه إلى جانب نورمان مايلر لمقاعد الأكاديمية الأمريكية للفنون ، وكان مقعده إلى جانب ليليان هيلمان.

الرجل الذي قرر أن يصبح كاتباً

شكيب كاظم

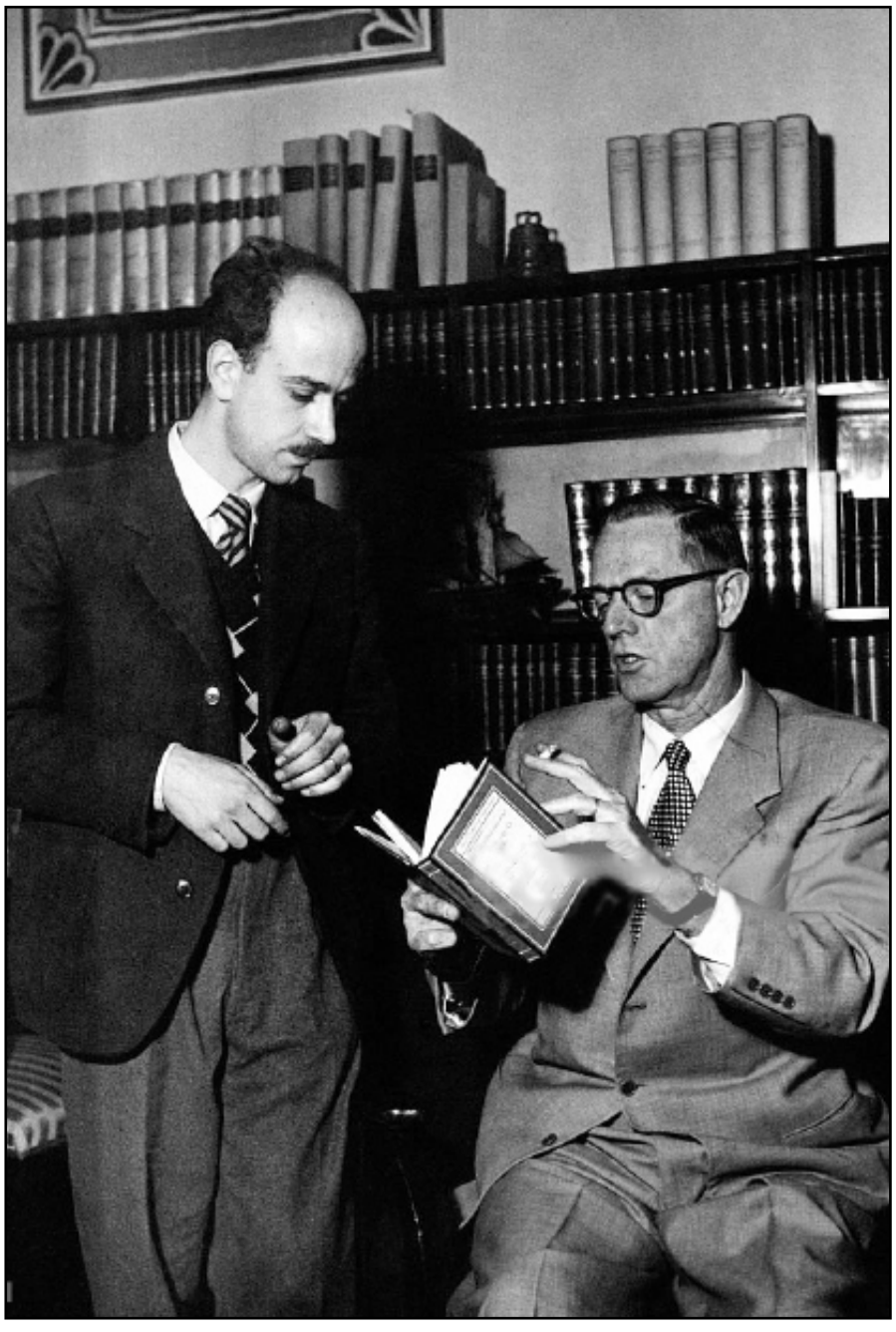

وأنا أقرأ كتاب (سَمِّها... تجربة Call it experience) مذكرات الروائي الأمريكي الشهير (إرسكين كالدويل Erskin Cald Well) (١٩٠٣-١٩٨٧) ، الطاقة الإبداعية الجميلة، والذي غادرنا للعيش في الولايات المتحدة الأمريكية بُعَيْدَ ٢٠٠٣، والذي استقرأت أنه كان يدون مذكراته اليومية، إذ تجد فيها الدقة، مما قد لا يتوافر للذاكرة الإنسانية النساءة، وأنا أقرأ، جولاته في أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية، كي يستزيد من تجارب الحياة، ويكتب، حتى أنه بعد أن جاب أمريكاً كلها، وذهب إلى المكسيك قرر زيارة الاتحاد السوفياتي، والحرب العالمية الثانية مشتعلة الأوار، حتى أن السفير السوفياتي في واشنطن يحذره من الذهاب إلى هناك، فلعله يجد نفسه فجأة أسيراً في يد القوات الألمانية، لكنه على الرغم من هذا التحذير المسؤول، فأنه يقرر السفر، مع زوجته (مارغريت بورك وايت) التي كانت مصورة فتوغرافية لعديد كتبه التي استقصى فيها الحياة في البلاد الأمريكية، ثم عقد الحب آصرته بينهما وتزوجها، ويصل إلى موسكو بعد رحلة مضنية وتبديل اكثر من طائرة جابت أراضي الصين ومنغوليا وهناك يستقبل بكل حفاوة واحترام.

وأنا أقرأ جولات كالدويل في أنحاء الدنيا كي يعيش ويكتب، استذكرت الروائي الفرنسي الحائز على جائزة نوبل للآداب سنة 2008، جان ماري غوستاف لوكليزيو (صحراء)، الذي قرأت روايته (صحراء) وكتبت عنها حديثاً نقدياً عنوانه (الروائي متماهياً مع آرائه وتجاربه، لوكليزيو درس الحضارات القديمة والأراضي البكر فانتج رائعته (صحراء) تراجع ص 129 من كتابي (السرد في مشغل النقد) فقد زار الصحراء المغربية وعايش سكانها واحب امرأة من نسائها وتزوج منها، وكتب روايته (صحراء) وما اكتفى بذلك، بل ذهب نحو المكسيك لاستقراء حضارة (المايا) المنقرضة، وهو ما لا يتوفر للروائيين العرب والعراقيين تحديداً، المنشغلين بلقمة الحياة، وعدم منحهم أجور إبداعهم بل أن دور النشر تطالبهم بالمال كي تنشر ما يكتبون!

كالدويل، الذي أبدع (طريق التبغ) التي حولت إلى مسرحية ظلت تعرض في مسارح برودواي سبع سنوات ونصف، ودرت عليه من المال، ما جعله يحيا حياة مرفهة، فضلاً عن (بيت في المرتفعات) و(ارض الله الصغيرة) وغيرها من الروائع الخوالد التي قرأناها مترجمة، يعترف انه يقرأ قليلاً.

مجتمعات تحترم مبدعيها

فجواباً عن سؤال وجهه إليه أحد القراء، وهناك المجتمع الذي يحترم النجومية، إذ كان يتسلم ألوف الرسائل، الأمر الذي دفعه للاستعانة بسكرتيرة كي تجيب الرسائل، فضلاً عن تبويب مقابلاته وأموره المالية، يسأله أحد القراء أية كتب تقرأها؟

يجيبه: أقرأ كتباً قليلة، ربما ست روايات في السنة، ومنذ سنوات طويلة مضت، قسمت الناس إلى صنفين: أولئك الذين يقرأون، وأولئك الذين يكتبون أما أنا، فقد رغبت في أن الحق بالفئة الأخيرة. تراجع ص 316

إنه يقول الحقيقة، من غير مبالغة وكذب، جوابه هذا يعيد لذاكرتي، جواب صديق شاعر، سألته عما قرأ في عطلة نهاية العام الدراسي، يوم كنا طلابا في كلية الآداب، فسرد عليَّ من أسماء الكتب مما لا يُقرأ بدهر، وليس بشهرين! وهو الآن شاعر نجم.

تقرأ في هذا الكتاب السيري المهم، الذي أحسن الأستاذ علي الحلي، صنعاً إذ نقله للعربية، فنجد هذا الشغف بالكتابة، التي ما كان شيء يُعلى عليها لديه وظل يطرق أبواب دور النشر والصحف والمجلات، ويعترف ارسكين كالدويل، أن العديد من كتبه ما وافق الناشرون على طبعها، فضلاً عن الكثير من مقالاته وقصصه، كانت تعاد إليه فيضطر إلى أرسالها إلى مجلات أخر.

يجد عملاً في إحدى الصحف، يتولى عرض الكتب والتعريف بها، وإذ يطالب باجر عمله هذا يأتيه الجواب، من كوراهاريس المحررة بصفحة يوم الأحد للكتب في جريدة (شارلوت اوبزرفر) أنها لا تستطيع أن تدفع ... مقابل المراجعات، لكنها أضافت على أية حالة تستطيع أن تحتفظ بالكتب نفسها!

لقد كان يسدد نفقات عيشه من خلال بيع هذه الكتب التي ترسلها له الجريدة بعد أن يفرغ من كتابة عرض لها، لقد كانت الكتب تتكدس في غرفته، ويعلن مازحاً لعلي أول من ابتكر هذا السعر الزهيد، كنت أبيع الكتاب بربع دولار!

لا بل أن رئيس تحرير صحيفة، بعد أن أمضى فيها سبعة أسابيع من العمل، وقد سأله عن أجوره، نظر إليه باستغراب قائلاً:

– ما كنت لتتوقع مني أن أدفع لك نقوداً مقابل تعلم العمل (...) لا أنك نسيت يا ارسكين، بأنك أتيت إلى هنا بمحض إرادتك الحرة (...) لم تكن هناك كلمة واحدة قيلت عن الدفع لك مقابل تعلم الصحافة!

إصرار على أن يصبح كاتباً

هذا الذي يواجه كل هذه المعوقات والمثبطات، المادية والمعنوية، حتى أن صاحبة أحد الدور، التي يستأجر غرفة منها، وهو الذي يمضي ليله، يكتب بالآلة الكاتبة تطالبه بمغادرة الدار، لأن صوت الطابعة ليلاً يزعج الساكنين، لكن الإخلاص للكتابة، ذلل كل الصعوبات، وفتح أمامه أبواب المجد والمال والشهرة، ومن ثم الخلود.

تقرأ في الكتاب هذا، فما تجد ارسكين كالدويل يتحدث سوى عن عوالم الكتابة والنشر، وكأن الدنيا عنده لا تساوي شيئاً من غير التأليف والكتابة، لقد كان هدفي الأول في الحياة، وما يزال كما يؤكد كالدويل ذلك أن أصبح كاتباً حقاً وإذا قدر لي الوصول إليه فسأشعر بالثقة.... تراجع ص 105

هذا الذي كتب عروض الكتب في الجرائد مجاناً، ورفض رئيس تحرير الجريدة التي عمل بها وقتا، أن يدفع له سنتاً واحداً، وكان فرحاً جداً إذ يعرض عليه ناشر، لقاء نشر قصتين له في مجلته يسأله الناشر:

–أيناسبك اثنان ونصف لكلتا القصتين؟

لكن كالدويل وقد أجابه بضآلة هذا المبلغ، يزيده الناشر إلى ثلاثة ونصف فما كان من كالدويل إلا الموافقة على مضض، ظاناً أن الأمر سيكون مقبولاً، لقد فكرت بأنني سأحصل على مبلغ أكثر من ثلاثة دولارات وخمسين سنتاً، بالنسبة للقصتين معاً.

فما كان من الناشر إلا أن يجيبه؟

– ثلاثة دولارات ونصف الدولار؟ أوه كلا ... لابد إنني أعطيتك انطباعاً خاطئاً ياكالدويل (....) لقد قصدت ثلاث مئة وخمسين دولاراً. تراجع ص 124.

كذلك ارسكين كالدويل هذا الذي اخلص للكتابة، وكانت هذه بداياته، أمسى يستكتبه الناشرون وأصحاب المجلات والصحف، ويطلبون منه المزيد من الروايات والقصص، وتعاقدت معه اضخم شركات إنتاج الأفلام، مثل: مترو كولدين ماير، ووارنر برذرز ، كي تنتج رواية من رواياته، وتجري اشهر صحف أمريكا والعالم، واعني جريدة (نيويورك هيرالد تربيون) مقابلة صحفية معه، وامسى أجره عن عرض روايته (التبغ) مسرحياً، الفين وخمس مئة دولار إسبوعياً، واضعين في الحسبان أن هذا حصل بداية ثلاثينات القرن العشرين ورخص الأسعار، ووصل إلى ثلاثة آلاف دولار أسبوعياً.

على الرغم من شغفي بالسينما، ولاسيما أيام الشباب الذي توارى سراعاً، لكن ظللت لا ارغب في مشاهدة الأفلام، المأخوذة من الروايات، وكثيراً ما قرأت شكوى عديد الروائيين، ولاسيما نجيب محفوظ، من إنتاج رواياته سينمائياً، فالمنتج والمخرج محكومان بظروف الإنتاج، ورغبة المشاهدين، يحاولان ليّ النص الروائي، ولقد لمست شكوى كالدويل من تحويل رواياته أفلاماً إذ أن القصة غُيرت مرات عدة، سواء من قبل هوليوود ام محلياً (...) قال لي هوارد بألا أقلق (...) وافقت على ذلك، إنها بعيدة تماماً ومختلفة (....) ولذلك كنت مرتبكاً إلى حد ما... تراجع ص 190

مرة سألني صديق، هل لك أن تعلمني كيف أكتب؟ فأجبته وهل أنا أعرف كيف اكتب كي أعلمك الكتابة؟ ولقد رأيت رأيي هذا متناغماً مع رأي الروائي ارسكين كالدويل الذي يجيب عن سؤال كيف تكتب؟

– بعد كل هذه السنوات ما زلت أجهل كيف أجيب؟ (....) ويظن اغلبهم بأنني أبقيه سراً في نفسي (...) إن أفضل طريقة لتعلم الكتابة ... هي الكتابة!

«أرض الله الصغيرة" لإرسكين كالدويل: في سبيل الذهب

إبراهيم العريس

يصعب العثور في الحياة الثقافية الأميركية على عمل روائي اضطر لخوض المعارك الرقابية اضطرار رواية "أرض الله الصغيرة" لخوضها. فهذه الرواية التي نشرها مؤلفها إرسكين كالدويل للمرة الأولى في العام ١٩٣٣ ظلت ثلاثين أو أربعين سنة بعد نشرها تمنع في هذه الولاية الأميركية أو تلك وتُحاكم ودائما بتهمة "الإباحية". والحقيقة أنه إن كان في الرواية حقا بعض المشاهد "الديونيسية" وبعض العلاقات المنحرفة، فإنها لم تكن تتجاوز في هذا ما تحمله روايات أميركية أخرى صدرت وقُرئت ولم تدن منها أية رقابة. ومن هنا يبقى مصير هذه الرواية لغزا محيّرا، ربما نفسره بعد سطور، دون أن ننسى واقع أن الضجيج الذي ثار من حولها أوصل مبيعاتها إلى ما يزيد عن عشرة آلاف نسخة خلال سنوات قليلة، ناهيك بأن هيئة النشر العسكرية الأميركية أصدرت منها طبعة خاصة للجنود... خلال الحرب العالمية الثانية. ويقينا أن ذلك لم يكن بفضل "إباحية الرواية" المبالغ في تقييمها، بل بسبب إجتماعيّة موضوعها و"قوتها التعبيرية" و"كونها تتغلغل داخل المجتمع الجنوبي الأميركي لتصوّ واقعه بقوة لافتة" بحسب تعبير معظم النقاد.

حكاية عائلة ما...

كما حال معظم الروايات الأميركية المزامنة والمشابهة تدور أحداث رواية "أرض الله الصغيرة" ضمن إطار عائلة تبدو عادية في ولاية جورجيا بالجنوب الأميركي. وهي تريا رب العائلة تي تي وقد علم أن ثمة كنزا من الذهب مخبوءا في باطن أرضه الزراعية. وعلى هذا النحو نراه يهمل زراعة الأرض باستثناء قطعة مجاورة لبيته يسميها "أرض الله الصغيرة" سيعهد بزراعتها إلى العناية الإلهية محوّلا بقية أراضيه إلى ما يشبه منجم الذهب متوقعا، عن ثقة مدهشة، بأن الذهب لا بد سيظهر يوما. ويستنفر تي تي في سبيل ذلك الهدف أولاده وكنته وأصهرته ومزارعيه وهو على يقين من أن الثروة ستهبط عليه ذات يوم. غير أن الذي سيحدث لن يكون أكثر من تفكك حقيقي إجتماعي وأخلاقي يصيب العائلة كلها، فلا يعود زوج مخلص لزوجته ولا إمرأة وفية لزوجها... ويفقد الأبناء احترامهم لأبيهم، كما لا يعود الأب قادرا على الشعور بأي حنان تجاه أولاده، بل إنه لا يتورع حتى عن مغازلة كنته.

والأدهى من هذا أنه يعلم ذات يوم أن ثمة في المنطقة أفرادا من شعب يقال له "الألبينوس" من خصائصهم أنهم يعرفون جيدا كيف يحددون وجود الكنوز في منطقة ما ويقدرون على التنقيب عليها. وهكذا يندفع تي تي بمساعدة بعض من أفراد عائلته لخطف واحد عثروا عليه من أبناء ذلك الشعب، هو ديف الذي يجرّونه إلى المزرعة كي يعثر لهم على الذهب... لكن ديف هذا سرعان ما ينغمس في الحياة الغريبة المنحلّة التي باتت تعيشها هذه العائلة إذ يصبح واحدا منها، ليس لطمعه بالذهب، بل لانغماسه في العلاقات العائلية، وكذلك لشعوره أن تطلعاته "البروليتارية" تتلاقى في نهاية الأمر مع كفاح هذه العائلة في سبيل الوصول إلى مستوى لائق من العيش، إذ يتعين ألا ننسى هنا أن القسم الأول، والأفضل من "أرض الله الصغيرة" يتضمن وقوفا صلبا في مناصرته لإضراب عمال النسيج في المنطقة، ثم ثمة بعد حين نوع من صراع "إيديولوجي" بين من يمثل الطبقة العاملة ومن يمثل طبقة الفلاحين، ونعرف أن كالدويل مؤلف الرواية إنما كان يعكس في هذا الجانب من روايته سجالات صاخبة تدور من حول "رجعية" الفلاحين في مقابل "تقدميّة" العمال، وهي سجالات لا شك أنه حملها معه من الإتحاد السوفياتي الذي كان زاره في ذلك الحين، زمن الستالينية بالطبع، وعاد منه بانطباعات جيدة كما سوف نرى، يمكننا أن نفترض هنا أنها هي التي ألّبت عليه جمعيات حماية الفضيلة وجعلتها تكتشف "مدى ما في أدبه من إباحية". ومهما يكن من أمر لا بد أن نتوقف هنا عند واقع أن "أرض الله الصغيرة" تكاد تعكس معظم المواضيع التي امتلأ بها أدب إرسكين كالدويل وبخاصة الحنان، والجنس والهزل الصاخب، كل تلك السمات التي جعلت منه واحدا من أكبر أدباء الولايات المتحدة شهرة في العالم، وعلى الأقل بسبب روايتين له، ترجمتا إلى شتى لغات الأرض: «طريق التبغ» و«أرض الله الصغيرة» التي نتحدث عنها هنا. ومع هذا، ورغم انتشار أدبه ذلك الانتشار الكبير، نادرا ما صُنّف كالدويل في خانة أدباء الصف الاول الاميركي إلى جانب إرنست همنغواي أو وليام فولكنر. ومن هنا اعتبر على التوالي أصغر الكتّاب العظام، أو أعظم كتّاب الصف الثاني.

رؤى المراهق

بيد أن ليس ثمة أدنى شك في أن كالدويل كان من أفضل الذين سجلوا مدونات حياة وآلام الريفيين في الجنوب الأميركي، لا سيما البائسين منهم والمحبطين والذين نادرا ما تتحقق آمالهم. وهذا ما جعله ذا حظوة في فرنسا والاتحاد السوفياتي تفوق حظوته في بلده الأم. غير أن هذا لم يمنع عالم الأدب من نسيان كالدويل بشكل شبه تام، بحيث إن الكثيرين تساءلوا حين رحل الرجل عن عالمنا ذات يوم ربيعي من العام ١٩٧٨، كيف يموت الآن وكنا نعتقده ميتا منذ زمن بعيد. ذلك أن أدب كالدويل العنيف والكلاسيكي والواقعي إلى حدود التخمة تبدى، خلال النصف الثاني من القرن العشرين، أدبا ينتمي إلى عوالم ماضية. والحال أن كالدويل نفسه كان يشجع على ذلك، فهو لم يسع أبدا إلى تطوير لغته أو أساليبه، وظل رصده للواقع الاميركي رصدا متشبعا برؤى المراهق الذي كانه، خلال الربع الاول من هذا القرن، حين قيض له أن يرافق أباه الكاهن المبشر، متجولا بين كنيسة وأخرى في ولاية جيورجيا الجنوبية مسقط رأسه. ولقد أتاح ذلك التجوال لإرسكين أن يرصد أحوال الناس ويدخل إلى سرائرهم، ما وفر له ترسانة معرفية تتعلق بطبائع البشر وعلاقاتهم وتطلعاتهم، ساعدته كثيرا في كتاباته اللاحقة. وهو وصف هذا كله في الكتاب الفذ الذي وضعه عن أبيه في ١٩٦٨ بعنوان «الجنوب العميق: مذكرات وملاحظات»، فأتى مكملا لكتاب ذكريات سابق كان أصدره أوائل الخمسينات ووصف فيه تكوّنه كروائي، وهو الكتاب الذي ترجم ونشر بالعربية لدى «دار الهلال» القاهرية.

على عكس الكتاب الآخرين من أبناء جيله، كان من نصيب كالدويل أنه قرر منذ حقبة مبكرة في حياته أن يصبح كاتبا، لذلك انتقل إلى ولاية ماين الشمالية في ١٩٢٦، وكان في الثالثة والعشرين من عمره، حيث بدأ تجاربه التي اوصلته في ١٩٣٢ إلى نشر «طريق التبغ» التي حققت له على الفور شهرة واسعة، خصوصا وإن تحويلها إلى مسرحية وعرضها في برودواي طوال سبعة أعوام ونصف العام على التوالي، كان ظاهرة لافتة في ذلك الحين. لكن كالدويل لم يركن إلى ذلك النجاح، بل استفاد منه لمواصلته الكتابة، فأصدر على الفور «أرض الله الصغيرة» (١٩٣٣) ثم «اضطراب في تموز» (١٩٤٠). وهو بعد كتابه الروائي الرابع «طفل جيورجيا» (١٩٤٣) راح يكتب القصة القصيرة، والتحقيقات الصحافية اللافتة التي غالبا ما كانت ترافقها صور التقطتها زوجته المصورة مارغريت بورك – وايت. وهو برفقتها زار الاتحاد السوفياتي حيث تابعا الغزو الالماني للأراضي السوفياتية خلال الحرب العالمية الثانية، ولذلك اعتبرا على الدوام صديقين مخلصين لذلك البلد، وهو ما جر عليهما مشاكل عديدة في بلدهما. بقي أن نذكر أن آخر سنوات حياته انفقها كالدويل في تدوين مذكراته وكتابة القصص القصيرة، ناهيك عن خوض النضال الاجتماعي الذي طبع أدبه ككل ولم يتخل عنه لحظة واحدة.

عن الاندبندنت

manarat

WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

صارات

طبعت بمطابع مؤسسة الدعلام
والثقافة والفنون

أرسكين كولدويل ..

سيرة موجزة لكاتب دنس التقاليد

علاء المفرجي

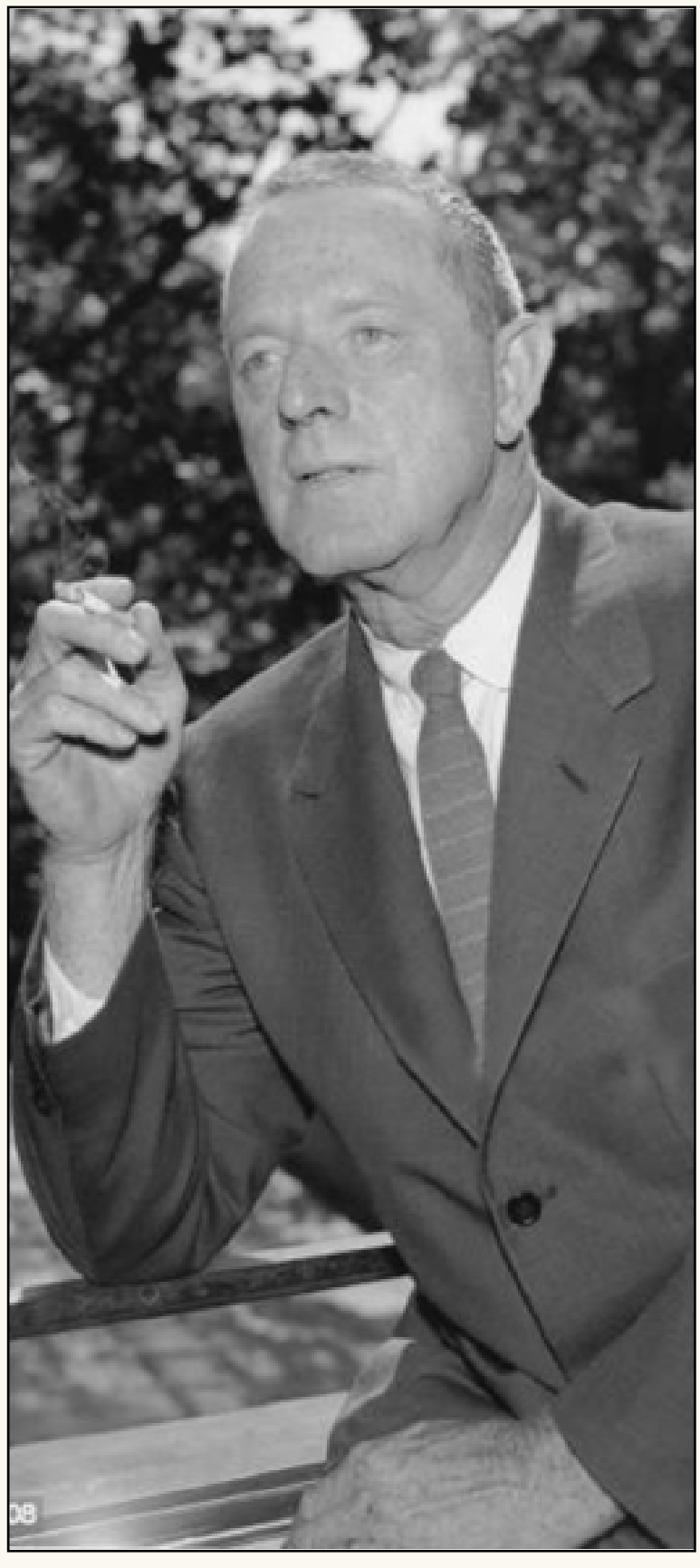

كولدويل كاتب تخصص بالكتابة عن وقائع الحياة الريفية لجنوب أميركا. وكانت ولادته عام 1907 في كاويتا ، في ولاية جورجيا. ابنا لأب قسيس لم يقدم لابنه شيئا يذكر. عاش كولد ويل طفولة معذبة. قضاها متنقلا بين عدة أعمال متواضعة. حتى بلغ الخامسة عشرة من عمره ليبدأ الدراسة بالمدرسة العليا في جيفرسون بولاية جورجيا. ولم يتوقف عن حياته العملية، فتنقل بين أعمال عدة منها : جامعا للقطن وجرسونا وسائقا وحارسا ليليا في حانة. وطباخا وغير ذلك .

التحق عام ١٩٢٢ بجامعة فرجينيا. وفي عام ١٩٢٥ ترك كولد ويل الجامعة و التحق للعمل في صحيفة (جورنال اتلانتا) . وفي مدة عمله بين عامي ١٩٢٥.١٩٢٦) ولع بمتابعة الكاتبة فرانسيز نيومان، وراح يراقب تفاصيل كتابتها لروايتها " العذراء المحنكة " ، فتصاعد هوسه في كتابة القصص القصيرة ، وعاش تحولا جديدا في حياته الكتابية .

وفي النصف الثاني من عام ١٩٢٦ ترك العمل في الصحيفة . وكان قد كتب أكثر من أربعين قصة قصيرة، لم تلق اهتماما أو صدى ممن اطلع عليها .ووجد كولد ويل نفسه في مواجهة التحول من كاتب لقصص ثانوية إلى رغبة ملحة تدفعه نحو الاحتراف. وجاء تركه العمل مغامرة كبيرة لصالح الكتابة. فعزل نفسه في " مين " للكتابة " وأرسل مجموعة من قصصه إلى عدد من الصحف والمجلات. بعد أن تنقل بين مين و "شارلوتزفيا" و "أجستا" و "بالتيمور" .تلقى عام ١٩٢٧ ملاحظات من محرري الصحف حول قصصه التي أرسلها إليهم للنشر.وكان الرد الذي تلقاه عام ١٩٢٩ من محرر سلسلة كتاب " نيو أميركان كارفان هي البداية عندما اخبر بالموافقة على نشر قصة له في الكتاب الدوري. وتوالت الردود من ماكسويل بيركنز رئيس تحرير المجلة الشهيرة " سكربنر " لينشر فيها مجموعة من قصصه التي تفرغ لكتابتها لشهور عدة .

وراح يتحدى ظروفه في اختبار كتابة رواية وصولا إلى عام ١٩٣١ عندما أصدر مجموعته القصصية « (American Earth) ارض أمريكية التي جوبهت بمواقف رافضة . حتى اعترف كالد ويل بازدراء النقاد لكتابه.وفي عام ١٩٣٢ انتهى من كتابة مسودة روايته (Tobacco Road طريق التبغ) . ونشرها ولم يتغير موقف النقاد منه أيضا. ويعتقد إن السبب في ذلك كونها رواية تتحدث عن حياة الجنوب الأمريكي الذي كتب عنه كالد ويل عدة روايات منها : " شغب في تموز " التي نشرت عام ١٩٤٠ ، و " أرض المأساة " عام ١٩٤٤ و " يد الله المقتدرة " ١٩٤٧ . و " هذه الأرض ذاتها " عام ١٩٤٨ ، و " مكان اسمه استر فيل " ١٩٤٩ . وصولا إلى عمله " حادث في بالتيمو " ١٩٥٠ « .

بعد الرواية الأخيرة طارت شهرة كالد ويل في الآفاق. وتزاحمت دور النشر على خطف رواياته.

عمل كالد ويل في السينما والإذاعة للمدة بين الأعوام ١٩٣٣ و ١٩٤٣ . وكان في كل مرة يعود إلى الكتابة غير نادم على أي شيء.

عاش كالد ويل مآسي الحرب العالمية الثانية عندما كان مراسلا صحفيا في الاتحاد السوفيتي. وكتب خلال تلك المرحلة " خارج الطريق إلى سمونكس " ، ونشر عددا من القصص القصيرة، فضلا عن مجموعة من كتب الرحلات . وسير ذاتية وأدبية.

نشر عام ١٩٥١ كتاب " سمّها خبرة " وهي سيرة أدبية تناولت أسلوبه وتفكيره غير المحترف في الكتابة.

انتخب كالد ويل في عام ١٩٨٤ عضوا في الأكاديمية الأمريكية للآداب. وتوفي في وادي الجنة في أريزونا عام ١٩٨٧